لقاء

«هذا العدوان كان مخططاً له، والهدف غير المعلن هو تدمير غزة، وعلى المسرحيين رفع الصوت في مواجهة الإبادة»، يقول الممثّل والمخرج المسرحي الفلسطيني في حديث إلى «العربي الجديد»، استعاد خلاله تجربة سبعة وأربعين عاماً، وصولاً لاختياره «شخصية العام الثقافية» لسنة 2024 في فلسطين

مسرحٌ فلسطيني على قيد الحلم

إدوارد معلّم من الحكواتي وعشتار رجوعاً إلى الجليل

محمود منير

صعد إدوارد معلّم الخشبة منذ سبعة وأربعين عاماً ليقدّم شخصية صامتة تراقب العدو، لكنه دوّر قلب حياته رأساً على عقب وجعل المسرح مركزه وفضاء امناً للتفكير والعمل والمغامرة، وبالطبع اجتراح مشاريع تعيده هذه المرّة إلى قريته معليا، مسقط رأسه في الجليل، حيث سيؤسس فيها مؤسسة مسرحية ربما تحمل اسم «الأحلام»!

الحلم هي كلمة السرّ في تجربة الممثل والمخرج المسرحي الفلسطيني (1958)، ينطلق منها في حديثه إلى «العربي الجديد»؛ حلمٌ بعرض مسرحي يمثّل فيه مع رفيقة دربه وزوجته المخرجة والممثلة إيمان عون، يضيء علاقة رجل بامرأة، ويعكس لجمهورهما كيف تطوّرت هذه العلاقة على مدار عقود من العمل الدؤوب المشترك بينهما في أرض الواقع.

وحلمٌ ثانٍ بإنشاء وتدريب فريق مسرحي من معليا، والقرى المحيطة بها، من أجل تكريس الفن الملتزم داخل فلسطين المحتلّة عام 1948، في لحظة حرجة يخاف فيها معلّم من ضياع هوية الشباب الفلسطيني في منطقة الجليل، ويسعى إلى إيجاد جسر تواصل بينهم وبين إخوتهم في الضفة الغربية، يربطهم بمؤسسة «عشتار لإنتاج وتدريب المسرح» في رام الله، التي انشاها مع إيمان، وتتسلّم إدارتها قريباً مجموعة من الشباب، ويتضمّن المشروع الجديد إنشاء مهرجان دولي يحتضنه مسرح معليا، بالإضافة إلى ساحاتها الخارجية.

استعادة البدايات

دربُ الأحلام لا ينفصل عن البدايات التي يستعيدها معلّم، حين كان طالباً في «الجامعة العبرية» في القدس عام 1977، يدرس في قسم المسرح الذي غلب على مساقاته الجانب النظري، مع زملاء دفعته الذين كان بينهم سبعة طلاب فلسطينيّين، في الحفل السنوي الذي تنظمه لجنة الطلاب العرب في نهاية كل عام دراسي، في فترة شهدت هجمة شرسة من سلطات الاحتلال ضدّ الشعب الفلسطيني إثر الإضرابات والاعتصامات التي امتدّت من الجليل إلى النقب بعد مصادرتها آلاف الدونمات الزراعية من أرضه. ويشير إلى أنّه قدّم مع زملائه الأحد عشر مشهداً مسرحياً حول العنصرية والاضطهاد والتمييز ضد الطلبة العرب في الجامعة بنهاية العام الدراسي، وكانوا يبحثون حينها عن مخرج لعرضهم، فاقترح عليهم بعض الأصدقاء اسم المخرج الفرنسي الفلسطيني فرانسوا أبو سالم (1951-2011)، الذي نشأ في فلسطين وعاش فيها معظم حياته ورحل فيها، فقاد مجموعتهم التي تمّ التحقيق معها بتهمة إهانة العلم الصهيوني أثناء العرض، ليتم الإفراج عنها لاحقاً لعدم ثبوت التهمة!

إلى جانب المسرح، درس معلّم الجغرافيا، وهو تخصّص لم تكن تقبل إلا قلّة من الفلسطينيّين على دراسته نظراً لحساسيته السياسية بالنسبة لسلطات الاحتلال، وأراد اتخاذها مهنة له قبل أن يطلب أبو سالم لقاءه مع زميليه القادمين من الجليل أيضاً، عدنان طرابشة ومحمد حاميد، في بيته بحي الشيخ جرّاح المقدسي. لقاءً حفّزه لدخول المسرح، العالم الذي عاشه في كلّ تفاصيل حياته حتى اليوم.

يضيف أن «فرانسوا هو الملهم لنا كمسرحيّين، أصبحنا محترفين على يده، وله دور مهم يصعب أن يتخطاه أي مسرحي فلسطيني، حيث استطاع كلّ واحد من فريق (الحكواتي) الذي أداره فرانسوا بنفسه أن يؤسس مشروعه الخاص، وأصبح هناك وجود لمسرح فلسطيني يقدّم عروضه حول العالم».

ذكريات تمرّ على البال، بعد إعلان وزارة الثقافة الفلسطينية اختياره شخصية العام الثقافية لسنة 2024. «لم أتوقع التكريم، لأن السلطة لم تكرم مسرحياً واحداً وانحصر تكريمها بالكتّاب والفنّانين التشكيليّين»، يقول معلّم، الذي ينتقد الإهمال الرسمي للمسرح، حيث قبل تكريمه لأن وزير الثقافة السابق الروائي عاطف أبو سيف التفت إلى هذا الفن والمشتغلين فيه، موضحاً: «لم أطلب تكريماً، واعتبر نفسي كجندي مجهول في المسرح بجدية ومثابرة والتزام، وفوجئت بالتكريم لأنهم كشفوا هذا الجندي المجهول».

مسرح في مواجهة الإبادة

لا يمكن فصل المسرح وحديثه عن حرب الإبادة الإسرائيلية التي تتواصل منذ نحو ستّة أشهر، وتستهدف الأطفال والنساء وكل البنى الثقافية في غزّة، وشكّلت صدمة لمعلّم خلال الشهر الأول ليمضي ساعاته على شاشات التلفزة، ولم يذهب إلى «مسرح عشتار» إلا مرّة واحدة كلّ أسبوع بسبب حواجز الاحتلال التي كانت تطوّق رام الله، واستمرت الحال حتى تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، حيث تواصلت المديرة العامة لـ«مسرح عشتار» الفنانة إيمان عون مع المسؤول عن فرع «عشتار» في غزّة، المخرج علي أبو ياسين، للمباشرة مع مجموعة «عشتار» في غزّة بتطبيق برنامج تدريبي خاص للتفريغ النفسي باستخدام الدراما، موجّه لأطفال قطاع غزّة الذين هجّروا من بيوتهم وتركّزوا في مدينة رفح.

يستذكر معلّم الانتفاضة الفلسطينية عام 1987، حيث طالبهم البعض بإغلاق مسرح «الحكواتي» لكن أبو سالم رفض ذلك، مؤكّداً أنّ الانتفاضة ستستمر لسنوات وللمسرح دور نضالي فيها، فأسس حينها المقهى الثقافي الذي اتسع لستين شخصاً وقدّم من خلاله مسرحيات قصيرة. ولأن الحرب على غزة مستمرة، استكمل «مسرح عشتار» التدريب مع طلابه ضمن منحة قدّمتها مؤسّسة ثقافية أردنية لمشروع «المسرح والهوية»، ويضمّ عروضاً مسرحية وورشات في فلسطين والأردن والجولان تمزج بين السيرك والمسرح والرقص المعاصر، حيث تستكمل البرنامج خلال الأسابيع القادمة بتقديم مسرحية «حجارة وبرتقال» التي يؤديها الفنانان إدوار معلم وإيمان عونْ في مجدل شمس والناصرة، والقدس وبيت لحم، وتتناول الهجرات الاستيطانية اليهودية الأولى إلى فلسطين. كما تتواصل ورشة الكتابة لإنتاج عمل بعنوان «غرنيكا/ فلسطين» يُخرجه إميل سابا، ويعرض في تموز/ يوليو المقبل في فلسطين وأيرلندا.

ويلفت إلى أن مؤسّسة «عشتار» تواصل عملها في غزّة حيث كان الطلبة يتدرّبون في «مسرح المسحال» قبل أن يدمّره الاحتلال الإسرائيلي منذ ثلاث سنوات، وينتقل المتدربون إلى «مركز الشوا»، وهم الآن جميعاً نازحون في مدينة رفح، باستئناف متدرّبة لا تزال في غزّة بعدما فقدت جميع أفراد عائلتها، وأخرجت زوجها من تحت الأنقاض حيث تحاول إجراء عملية جراحية له خارج غزّة، بينما تعمل بقية المجموعة بشكل يومي دون توقف في برنامج للعلاج النفسي عبر الدراما موجّه للأطفال في رفح.

يبيّن معلم أن «هذا العدوان مبيّت وكان مدروساً ومخططاً له، والهدف غير المعلن هو تدمير غزّة، وعلى المسرحيين رفع الصوت في مواجهة الإبادة»، مشيراً في هذا السياق إلى مشروع «مونولوغات غزّة» الذي أطلقته «عشتار» عام 2010، ويتم تقديمه منذ بدء الحرب على غزّة في عشرين لغة على مسارح العالم بمشاركة ما يزيد عن 3000 فنان حول العالم، كما يصدر قريباً في كتب بجميع هذه اللغات.

إدوارد معلّم وإيمان عون في لحظة تكريم

> سيؤسس في قريته معليا مؤسسة مسرحية ربما تحمل اسم «الأحلام»
>
> لطالما اعتمد المسرح الفلسطيني على أشخاص وليس على مؤسسات

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تصويب

نجمة الإقليم

باسم النبريص

ستّة شهور وتحوّلت غزّة إلى مقبرة وحيّز من جغرافيا الليل. ستّة شهور، ولم يبرح الإقليم في ذُلّه، مادّة استخراجية للابتزاز، في أوحش وأنكى المعاني. جاءت «حركة حماس» وأطلقت نجمةً في فضاء العتمة الكُلّي، كي يهتدي بنورها سكّان الإقليم، ويبدأوا في نفض ذُلّهم. لكن يبدو أنّ الجسد الاجتماعي استنام للغفلة وشبع من قيحها الكريه. مع أنّ هذا لا يجُوز لمن يستحقّ الحياة وهو يتنفّس بعدُ في الحياة. المُقاومة تُواجه أعتى القِوى وحدها: «الناتو» بقضّه وقضيضه، والشعوب، خلا نُدرة النُّدرة، مُعجبة في العجز، وتنتظر من المُقاومة أن تفعل ما يجب عليها هي فعله. شعوبٌ اعتادت على القسوة. وعلى ردّ الفعل العاطفي. إذ يبدأ ساخناً ثم يتلاشى كغُثاء السَّيل. هذا التواكُل سيجعل مصيرها مثل مصير غزّة، قصُر الزمان أم طال. سيتّسع أفق النُّهب، ولن تزُرّه إلّا سواعد الثورة. أملٌ ألّا أعيش كي أرى ما يفصح عنه قادم السنوات. وإن عشتُ، ألّا تكون لي عينان كي أرى جغرافيا الإقليم (أمام هول ابتزاز عدوّها الغربي ومخلبه الصهيوني الأمتناهي)، وقد تحوّلت إلى مقبرة ورقعة من الكوكب لا يعرفها ضوء الشمس. سيُصحّر منطقتنا الزوالُ الدّنيء، بين هذين العدُوَّين، وهما من ناحية أُخرى، الكيانان الوحيدان اللذان هُما عبارة عن «قبضايٍ» وفي يده مخلب ناتئ ونافر. غزّة هي مستقبل الإقليم كلّه، إن لم تقُم العُجول وتحرث وادِيها.

(شاعر فلسطيني مُقيم في بلجيكا)

هاجس الفضاء الواسع

هاجس وحيد يشغل إدوارد معلّم وإيمان عون هو المسرح الذي يعني بالنسبة إليهما فضاء واسعا منفتحا على التمثيل والإخراج والتدريب والتأليف وتنظيم التظاهرات المسرحية، واقتراح مشاريع جديدة في سياق تنمية الإنسان والمكان، كان آخرها تدريب عشرين شاباً وشابة في الغور الفلسطيني، ويجري البحث حاليا لإيجاد قطعة أرض في مدينة اريحا لبناء قاعة عرض وتدريب مسرحي عليها، ومركز للإقامة الفنية لمسرحيين من فلسطين وخارجها.

إطلالة

خاتمة روائيّة لقرن

ممدوح عزام

فجأةً يُصاب رجلٌ بالعمى وسط الشارع بينما كانت سيّارته متوقّفة في انتظار إشارة المُرور الخضراء. سوف تتوالى حالات العمى في المدينة، وتتراكم حتى تضطرّ الحكومة لفتح مستشفىً خاصّ بالعُميان، غير أنّه لا يكفي، إذ إنّ المدينة كلّها تُصاب بالعمى، عدا امرأة واحدة تضطرّ للادّعاء أنّها عمياء، وذلك لتحاشي أن تكون عدوّة لمُجتمع كامل أضحى يتصرّف في وضع العمى الأخلاقي بعد عماه البصري. ولا يفوت الرّوائي الحصيف أن يجعل إدارة المدينة تختار مستشفى الأمراض العقلية مكاناً لتجميع المرضى المُصابين بالعمى. تبدو رواية «العَمى» لجوزيه ساراماغو، مثل خاتمة روائية للقرن العشرين، ذلك القرن الدّموي الذي أُصيبت فيه البشرية جمعاء بالعَمى. ففي الرّواية عالمٌ رمزيّ لا يتحمّله أيّ واقع مُفرد، لا البرتغال بلد الروائي، ولا أيّ بلد آخر. إذا ما أخذناه وحده في مواجهة ذلك الامتحان. فالعالَم كلّه ابتدأ منذ عام 1900 يدخل إلى المستشفى بعد أن أُصيب بالعَمى. أُمم مجنونة تقبل على الحروب بشراهة وحشية لا مثيل لها. وتُضحّي في سبيل خوض الحروب فقط، بجيل من أبنائها الشُّبّان، عدا عن الدمار المادّي الذي يؤدّي لمحو مُدن من الوجود، أو تدميرها، أو تكبيد سكّانها الحدّ الأقصى من الخسائر.

دولة بعد أُخرى، فمُجتمع بعد آخر، الدُّول الصناعية التي حقّقت بتاجاً هائلاً من السِّلع، والدُّول الفقيرة التي تحلم بالصناعة، والدُّول الأكثر فقراً التي ترجو أن يلحقها شيء من الفُتات. عمىً أخلاقيّ مُميت استُخدمت فيه جميع أنواع الأسلحة التي كان يقصد منها قتل البشر، والقضاء على جميع أنواع الحياة الأُخرى، حيث لم يوفّر المُتقاتلون أرضاً، أو شجراً، أو نهراً، أو حيواناً بَرّياً أو داجناً، من النار التي تفنّنوا في اختراعها، وكلّما كانت الدُّول المُتحاربة أكثر تقدُّماً من الناحية التكنولوجية، كانت أكثر وحشيّة في اختراع البارود المدمّر، وأقصى اعتذار عن تلك الجرائم هو أنّهم وضعوا جائزة باسم مُخترع البارود السيّد نوبل، وسمحوا لعصابات من القتَلة الصهاينة أن يستمرّوا في أداء الدور ذاته، بذريعة تعرُّضهم للاضطهاد.

تضعُ الرواية الناس في امتحان الأخلاق أولاً. ماذا يُمكن أن يفعلوا في ظلّ التحوّل الجديد، في سياق غياب القانون الأخلاقي أولاً، قبل القانون الوضعي الإجرائي؟ من قرأ الرّواية، وعاش الأحداث في السنوات العشر الماضية، يعلم الانزلاق الخطير الذي يمشي فيه بعض الناس حين يغيب الوازع الأخلاقي، أو حين يغيب الرقيب، أو حين يُمكن أن يفلت من العقاب، أو يعمى البصر والبصيرة. ينفلت العقل، كأنّ البصر مُفتاح لذلك العقل النائم الذي يُوقظه العَمى، أو فقدان البصيرة، على الهمجيّة والقتل والتجرُّد من إنسانيّته... ينسحب الناس من أخلاقهم، ومن قيمهم، بحيث لا يُمكن إلّا أن تصف ذلك بالعَمى، دون أن يكون لذلك أي علاقة بفُقدان البصر لدى أفراد بسبب مرض ما، هكذا لا تزال مُجتمعات كاملة في الكُرة الأرضيّة تندفع إلى المذبحة: الهوتو والتوتسي في رواندا، والمجتمع الإسرائيلي بشكل شبه كامل، من يساره إلى يمينه، الذي يُصوّت بأغلبيّته لمُجرم مثل نتنياهو.

لا عجَب أن يكون ساراماغوا أبرز كاتب في العالَم أدان عُدوان الصهاينة على فلسطين.

(روائي سوري)

فعاليات

عند العاشرة من صباح العشرين من نيسان/ إبريل الجاري، تستضيف «مكتبة الكتاب» في العاصمة التونسية عرض وتوقيع رواية **نطيح الاكباش** (دار الساقي) للروائي **نزار البركوتي**. تتناول الرواية قصة شخص تنكر باسم حنظلة حتى يتمكن من ولوج العوالم الغامضة ليروي حكاية وطنه ويُفصح عن كل ما يراه امامه.

فلنوقف الإبادة في فلسطين، عنوان المظاهرات الشعبية التي تنظم في عدد من المدن الإسبانية يومي العشرين والحادي والعشرين من إبريل/ نيسان الجاري، ومنها: إشبيلية، وبرشلونة، وغرناطة، ومدريد، والمرية، تنديداً بحرب الإبادة الجماعية، ودعما للشعب الفلسطيني في نضاله ضد الاحتلال. تطالب المظاهرات بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية والاكاديمية مع «إسرائيل».

تنظّم «مكتبة الحلبي» ببيروت، عند السادسة والنصف من مساء الثامن عشر من نيسان/ إبريل الجاري، قراءة في رواية **نساء روحي** (دار الآداب ـ ترجمة مارك جمال)، للروائية التشيلية **إيزابيل الليندي**. تتناول الرواية مسيرة الكاتبة ومعنى ان تكون امراة في عالَم يسيطر عليه الذكور، اضافة الى لمحات من حياتها.

إيقاعات والوان، عنوان الورشة التي يستضيفها «المتحف العربي للفن الحديث» في الدوحة، عند التاسعة من صباح الحادي والعشرين من نيسان/ إبريل الجاري. تتمحور الورشة حول التأمّل الذهني وتهدف إلى تثقيف النساء حول كيفية ترجمة الموسيقى إلى فنون بصرية، من خلال الموسيقى والرسم وجلسات الحوار.

مسرح عشتار برنامج تدريبي للتفريغ النفسي باستخدام الدراما

رفع الصوت في مواجهة الإبادة

رغم استمرار العدوان على غزّة يستكمل «مسرح عشتار» التدريب مع طلابه، كما يقدّم من ضمن فعاليات أخرى عروضاً لمسرحية «حجارة وبرتقال»

إيمان عون وإدوارد معلم في مسرحية «حجارة وبرتقال»

لا يمكن فصل المسرح وحديثه عن حرب الإبادة الإسرائيلية التي تتواصل منذ نحو ستّة أشهر، وتستهدف الأطفال والنساء وكل البنى الثقافية في غزّة، وشكلت صدمة لمعلّم خلال الشهر الأول ليمضي ساعاته على شاشات التلفزة، ولم يذهب إلى «مسرح عشتار» إلا مرة واحدة كلّ أسبوع بسبب حواجز الاحتلال التي كانت تطوّق رام الله، واستمرت الحال حتى تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، حيث تواصلت المديرة العامة لـ«مسرح عشتار» الفنانة إيمان عون مع المسؤول عن فرع «عشتار» في غزّة، المخرج علي أبو ياسين، للمباشرة مع مجموعة «عشتار» في غزّة بتطبيق برنامج تدريبي خاص للتفريغ النفسي باستخدام الدراما، موجّه لأطفال قطاع غزّة الذين هجّروا من بيوتهم وتركّزوا في مدينة رفح.

يستذكر معلّم الانتفاضة الفلسطينية عام 1987، حيث طالبهم البعض بإغلاق مسرح «الحكواتي» لكن أبو سالم رفض ذلك، مؤكّداً أن الانتفاضة ستستمر لسنوات وللمسرح دور نضالي فيها، فأسس حينها المقهى الثقافي الذي اتسع لستين شخصاً وقدّم من خلاله مسرحيات قصيرة. ولأن الحرب على غزّة مستمرة، استكمل «مسرح عشتار» التدريب مع طلابه ضمن منحة قدّمتها مؤسسة ثقافية أردنية لمشروع «المسرح والهوية»، ويضمّ عروضاً مسرحية وورشات في فلسطين والأردن والجولان تمزج بين السيرك والمسرح والرقص المعاصر، ويستكمل البرنامج خلال الأسابيع القادمة بتقديم مسرحية «حجارة وبرتقال» التي يؤديها الفنانان إدوار معلم وإيمان عونْ في مجدل شمس والناصرة، والقدس وبيت لحم، وتتناول الهجرات الاستيطانية اليهودية الأولى إلى فلسطين. كما تتواصل ورشة الكتابة لإنتاج عمل بعنوان «غرنيكا/ فلسطين» يُخرجه إميل سابا، ويعرض في تموز/ يوليو المقبل في فلسطين وأيرلندا.

ويلفت إلى أن مؤسّسة «عشتار» تواصل عملها في غزّة حيث كان الطلبة يتدرّبون في «مسرح المسحال» قبل أن يدمّره الاحتلال الإسرائيلي منذ ثلاث سنوات، وينتقل المتدربون إلى «مركز الشوا»، وهم الآن جميعاً نازحون في مدينة رفح، يعملون بشكل يومي دون توقف في برنامج للعلاج النفسي عبر الدراما موجه للأطفال في رفح.

يبيّن معلم أن «هذا العدوان مبيّت وكان مدروساً ومخططاً له من قبل العدو، والهدف غير المعلن هو تدمير غزّة، وعلى المسرحيين رفع الصوت في مواجهة الإبادة»، مشيراً في هذا السياق إلى مشروع «مونولوغات غزّة» الذي أطلقته «عشتار» عام 2010، ويتم تقديمه منذ بدء الحرب على غزّة في عشرين لغة على مسارح العالم بمشاركة ما يزيد عن 3000 فنان حول العالم، كما يصدر قريباً في كتب بجميع هذه اللغات.

منير...